(ل)

س : يخطئ كثير من المتحدثين في شكل الكلمة التي تلي تعبير (لاسيما) فهل من توضيح للنطق الصحيح ؟

ج : معلوم أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية ، والحديث النبوي نقل إلينا باللغة العربية ، واستنباط الأحكام الشرعية منهما لابد فيه من معرفة اللغة العربية نحواً وصرفاً ، وبلاغة ، فقد يكون الحكم صحيحاً في رفع آخر الكلمة ، وخطأ في نصبه أو جره ، بل قد يؤدي الخطأ في الإعراب إلى الكفر ، كما قرأ بعض المسلمين ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة : ٣] بجر اللام من «رسوله» والصواب رفعها ، فالمعنى على الجر أن الله بريء من الرسول كما أنه بريء من المشركين ، واعتقاد ذلك كفر ، والمعنى على الرفع أن الرسول بريء من المشركين كما أن الله بريء منهم ، وهذا صحيح.

ومن أجل خطورة اللحن في القرآن أشار عليٌّ رضي الله عنه على أبي الأسود الدؤلي بوضع قواعد علم النحو .

وأصبح تعلم النحو واجباً لصحة القراءة وصواب استنباط الحكم والحماية من الخطأ .

وعبارة «لاسيما» قال العلماء في إعرابها : «لا» نافية للجنس ، و(سِيَّ) تشبه كلمة (مثل) وزنا ومعنى ، وهي اسم (لا) وخبرها محذوف وجوباً ، ويقدر بكلمة (ثابت) ومعنى (لاسيما) لايوجد مثيل لما يأتي بعدها .

وأصل (سِيَّ) سِوْىْ ، قبلت الواو ياء ، لاجتماعها مع الياء وسبق إحداهما بالسكون ، وأدغمت في الياء .

ويجوز في الاسم الواقع بعد (ما) من عبارة (لاسيما) الجر والرفع مطلقاً ، والنصب إن كان نكرة . وقد روى بالأوجه الثلاثة قول امرئ القيس :

ألا رب يوم صالح لك منهما ولا سيما يوم بدارة جلجل

والجر أرجحها ، وهو إضافة (سيَّ) إليه و (ما) زائدة بينهما ، مثلها في قوله تعالى ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ﴾ [القصص : ٢٨] .

وأما الرفع فهو على أنه خبر لمبتدأ محذوف و (ما) موصولة ، أي اسم موصول ، والجملة بعدها صلة للموصول لامحل لها من الإعراب أو تكون (ما) نكرة موصوفة بالجملة بعدها فهي في محل جر ، والتقدير ولامثل شيء هو رفيقه و (سيَّ) مضاف ، و (ما) مضاف إليه ، فعلى كل من و جهي الجر والرفع تكون فتحة (سيَّ) فتحة إعراب، لأن اسم (لا) النافية للجنس إذا كان مضافاً يكون منصوباً .

وأما نصب النكرة بعدها فعلى التمييز ، و (ما) كافة عن الإضافة والفتحة فتحة بناء ، مثلها في (لا رجل) والمعرفة لايجوز نصبها عند الجمهور ، وجوز بعضهم نصبها، بجعل (ما) كافة ، و (لاسيما) بمنزلة (إلا) الاستثنائية ، فما بعدها منصوب على الاستثناء ، كما جاء في حواشي الأشموني :

وما يلي (لاسيما) إن نكِّرا فاجرر أو ارفع ثم نصبه اذكرا

في الجر (ما) زيدت وفي رفع ألف وصْلٌ لها وتنكيرٌ وصف

وعند رفع مبتدا قدِّر وفي رفع وجر أعربن (سي) تفي

وانصب مميزاً وقل (لاسيما يوم) بأحوال ثلاث فاعلما

والنصب إن يعرف اسم فامنعا وبعد (سيٍّ) جملة فوقعا

أجاز ذا الرَّضى ولا تحذف (لا) من (سيما) و (سي) خفف تفضلا

وامنع على الصحيح الاستثنا بها ثم الصلاة للنبي ذي البها[1]

أنا أعلم أن هناك صعوبة -عند البعض- في فهم هذا الكلام ، وبخاصة الشعر ، فليكن رياضة ذهنية لمن يهتمون بذلك ، أما غيرهم فيكفي أن يعرفوا أن الاسم

١- حاشية الصاوي على شرح الدردير للخريدة .

الذي أتي بعد (لاسيما) يجوز رفعه وجره مطلقاً ، أي إن كان نكرة أو معرفة ، أما نصبه فلا يجوز إلا إذا كان نكرة . فإذا قلت : أنا أحب الطلاب ولاسيما المجتهد ، جاز لك الرفع والجر فقط ، وإذا قلت : أنا أحب الطلاب ولاسيما مجتهد ، جاز لك الرفع والجر والنصب أيضاً .

س : تتمسك بعض الجماعات بإعفاء اللحية ، وترمي من يخالف ذلك بالفسق وعدم الائتمام به في الصلاة ، فما رأي الدين في ذلك ؟

ج : اللحية هي الشعر النابت على الذقن خاصة ، وهي مجمع اللحيين ، وهما العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى . والعارضان هما صفحتا الخد .

وإعفاء اللحية -أي تركها بدون حلق- فرط فيه جماعة وأفرطوا في عيب الآخرين ، كما أفرط في التمسك بإعفائها جماعة وفرَّطوا في احترام الآخرين . والدين لايقر مسلك الطرفين ، ذلك أن القدر المتفق عليه بين الفقهاء أن إعفاءها مطلوب ، لكنهم اختلفوا في درجة الطلب مع مراعاة علة الحكم وهي مخالفة المشركين ، فقال جماعة بوجوب إعفائها ، وقال جماعة بالندب ، ومعلوم أن الواجب ما يثاب المرء على فعله ويعاقب على تركه ، والمندوب ما يثاب المرء على فعله ولايعاقب على تركه .

فالقائلون بوجوب إعفائها استدلوا بحديث الصحيحين «خالفوا المشركين، وفروا اللحى ، واحفوا الشوارب» واللِّحى بكسر اللام - وقد تضم - جمع لحية . فحملوا الأمر هنا على الوجوب . والقائلون بندب إعفائها استندوا إلى حديث مسلم «عشرة من الفطرة : قص الشارب وإعفاء اللحية ، والسواك ، واستنشاق الماء ، وقص الأظافر، وغسل البراجم - جمع بُرْجمة بضم الباء والجيم وهي عقد الأصابع ومفاصلها - ونتف الإبط ، وحلق العانة ، وانتقاص الماء» يعني الاستنجاء، قال مصعب ونسيت العاشرة ، إلا أن تكون المضمضة . فقالوا : إن

إعفاء اللحية شأنه شأن الأمور المذكورة في الحديث ، وليست كلها واجبة ، كالسواك والاستنشاق وقص الأظافر ، فلماذا لايكون إعفاؤها مندوباً ؟ ولايحتج عليهم بأن إعفاء اللحية ورد فيه أمر مخصوص معلل بمخالفة المشركين ، وهذه المخالفة تصرف الأمر للوجوب ولايحتج عليهم بذلك لأن الأمر عندهم في الحديث هو للندب لاللوجوب ، ومخالفة المشركين لاتصرف الأمر للوجوب ، لأنه لو كانت كل مخالفة للمشركين واجبة لوجب صبغ الشعر الذي ورد فيه الحديث الذي رواه الجماعة «إن اليهود لايصبغون فخالفوهم» وقد أجمع السلف على عدم وجوب صبغ الشعر ، فقد صبغ بعض ولم يصبغ بعض آخر كما قاله ابن حجر في فتح الباري . فالأمر هو للإرشاد فقط ، وهو لايفيد الوجوب في كل حال ، وفي شرح النووي لصحيح مسلم [1] ، ما نصه : قال القاضي -عياض- قال الطبراني : الصواب أن الآثار المروية عن النبي ﷺ بتغيير الشيب وبالنهي عنه كلها صحيحة وليس فيها تناقض ، وبل الأمر بالتغيير لمن شيبه كشيب أبي قحافة ، والنهي لمن له شمط فقط . قال : واختلاف السلف في فصل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم في ذلك ، مع أن الأمر والنهي في ذلك ليس للوجوب بالإجماع ، ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض خلافه في ذلك . اهـ

ولهذا قال بعض العلماء : لو قيل في اللحية ما قيل في الصبغ من عدم الخروج على المألوف من عرف أهل البلد لكان أولى ، بل لو تركت هذه المسألة وما أشبهها مما ليس قُرْبَة ولايحصل منه ضرر للشخص ولا لغيره -لو تركت لظروف الإنسان وتقديره ونيته ما كان في ذلك بأس . جاء في كتاب نهج البلاغة [2] سئل عليٌّ عن قول النبي ﷺ «غيروا الشيب ولاتشبهوا باليهود» فقال : إنما قال النبي ذلك والدين قُلٌّ ، فأما الآن وقد اتسع نطاقه وضرب بجرانه فامرؤ وما يختار.

١- ج١٤ص٨٠. ٢- ج٢ ص١٤١.

جاء في فتاوى الشيخ محمود شلتوت [1] أن الأمر كما يكون للوجوب يكون لمجرد الإرشاد إلى ما هو أفضل ، وأن مشابهة المخالفين في الدين إنما تحرم فيما يقصد فيه التشبه من خصائصهم الدينية ، أما مجرد المشابهة فيما تجري به العادات والأعراف العامة فإنه لابأس بها ولا كراهة ولا حرمة . ثم قال : الحق أن أمر اللباس والهيئات الشخصية -ومنها حلق اللحية- من العادات التي ينبغي أن ينزل المرء فيها على استحسان البيئة. اهـ.

هذه هي الآراء ، ولكل مسلم أن يختار منها ما يطمئن إليه قلبه ، وإن كنت أرى أن أدلة الطلب قوية وأن القول بالوجوب هو قول جمهور الفقهاء فهو أرجح ، وعليه فمن أعفى لحيته يطمئن إلى ثوابه ، ومن حلقها لايجزم بعقابه .

وأنصح بعدم التعصب وحدة الخلاف في هذا الموضوع . إلى الدرجة التي تكون فيها مقاطعة وخصام واحتقار وعدم اقتداء في الصلاة ، فالحرمة ليس مجمعاً عليها من الفقهاء ، وليست بالقدر الذي حرمت به السرقة والربا والرشوة وما إلى ذلك من الأمور التي يجب أن نوجه إليها اهتمامنا لنطهر أنفسنا ومجتمعنا منها ، ولندخر قوانا الفكرية والعصبية والنفسية للوقت الذي ينادينا فيه ديننا للنهوض بأهله وتخليصهم من تحكم العدو فيهم ، فذلك جهاد لاينقطع إلى يوم القيامة .

هذا وإحفاء الشارب يقول فيه النووي [2] : ذهب كثير من السلف إلى استئصاله وحلقه بظاهر قوله ﷺ «أحفوا وانهكوا» وهو قول الكوفيين وذهب كثير منهم إلى منع الحلق والاستئصال ، وقاله مالك ، وكان يرى حلقة مُثْلَة ، ويأمر بأدب فاعله ، وكان يكره أن يؤخذ من أعلاه ، ويذهب هؤلاء إلى أن الإحفاء والجَزّ والقص بمعنى واحد ، وهو الأخذ منه حتى يبدو طرف الشفة ، وذهب بعض العلماء إلى التخيير بين الأمرين ، هذا آخر كلام القاضي والمختار ترك اللحية على حالها وألا

١- ص٢١٠.

٢- شرح صحيح مسلم ج٣ ص١٥١.

يتعرض لها بتقصير شيء أصلاً ، والمختار في الشارب ترك الاستئصال ، والاقتصار على ما يبدو به طرف الشفة والله أعلم [1].

س : ما حكم اللعب بالطاولة والشطرنج والكوتشينة والدومينو والسيجة ؟

ج : الكلام الوافي عن هذه الأشياء موجود في كتب كثيرة من أهمها ، الزواجر لابن حجر الهيتمي ، ونيل الأوطار للشوكاني ، وحياة الحيوان الكبرى للدميري (مادة عقرب) وتفسير القرطبي لآية ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ﴾ [يونس : ٣٢] . وتواريخها أشرت إليه في الجزء الثالث من موسوعة الأسرة تحت رعاية الإسلام ، أما حكمها فهناك شبه اتفاق على أن ممارستها محرَّمة إن كان فيها قمار ، أو صاحبها محرم كشرب خمر أو سفور أو خلوة أو سباب ، أو ترتب عليها ضياع واجب ، أو ضرر أيًّا كان هذا الضرر .

والذي ذكرته الكتب من هذه الأشياء ووضحت حكمه من واقع النصوص الواردة هو النرد (الطاولة) والشطرنج وإليك خلاصة ما قيل فيهما :

١ - **النرد المعروف بالطاولة** ورد فيه قول النبي ﷺ «من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في دم خنزير» [2].

وجاء فيه أيضاً حديث «من لعب بنرد أو نردشير فقد عصى الله ورسوله» [3].

١- انظر كتابنا (الإسلام ومشكلات الحياة) والجزء الثالث عن حقوق الزوجية من موسوعتنا (الأسرة تحت رعاية الإسلام) .

٢- رواه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه . وقال النووي في التعليق عليه : قال العلماء : النردشير هو النرد ، فالنرد عجمي معرب و (شير) معناه حلو . وهذا الحديث حجة للشافعي والجمهور في تحريم اللعب بالنرد، وقال أبو إسحاق المروزي من أصحابنا : يكره ولايحرم (شرح مسلم ج١٥ ص١٥).

٣- رواه مالك عن أبي موسى الأشعري واللفظ له ، ورواه أبوداود وابن ماجه والحاكم والبيهقي، ولم يقولوا : أو نردشير . وقال الحاكم : صحيح على شرطهما ، أي الشيخين البخاري ومسلم (تفسير القرطبي) ج٨ ص٣٣٨.

وجاء في (الترغيب والترهيب) [1] قال الحافظ : ذهب جمهور العلماء إلى أن اللعب بالنرد حرام ، ونقل بعض مشايخنا الإجماع على تحريمه .

٢ - **أما الشطرنج** فقد قال فيه النووي : وأما الشطرنج فمذهبنا أنه مكروه وليس بحرام ، وهو مروي عن جماعة من التابعين ، وقال مالك وأحمد حرام ، قال مالك : هو شر من النرد وألهى عن الخير ، وقاسوه على النرد ، وأصحابنا يمنعون القياس ويقولون : هو دونه [2].

وقال الحافظ -بعد ذكر حكم النرد- : واختلفوا في اللعب بالشطرنج ، فذهب بعضهم إلى إباحته ، لأنه يستعان به في أمور الحرب ، ومنهم سعيد بن جبير والشعبي ، ولكن بشروط ثلاثة ، عدم القمار ، وعدم الإلهاء عن وقت الصلاة ، وحفظ اللسان حال اللعب عن الفحش ، وكرهه الشافعي تنزيها ، وذهب جماعات من العلماء إلى تحريمه كالنرد ، وقد ورد في الشطرنج أحاديث لا أعلم لشيء منها إسناداً صحيحاً ولا حسناً [3].

هذا ، ومن تظرف الباحثين في النرد والشطرنج قول بعض المتكلمين - علماء التوحيد والكلام- النرد مجبر والشطرنج معتزلي ، فالأول مجبر بحظه ، والثاني مختار بفعله [4].

س : من هو أول من تكلم باللغة العربية ؟

ج : جاء في تفسير القرطبي [5] قوله : واختلف في أول من تكلم باللسان العربي ، فروى عن كعب الأحبار أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام ، وقاله غير كعب الأحبار .

---

١ - ج٤ ص٤.
٢ - شرح صحيح مسلم ١٥ج ص١٥ .
٣ - الترغيب والترهيب ج٤ ص٤.
٤ - مختارات الأدباء للأصفهاني ج١ ص٤٤٨.
٥ - التفسير ج١ ص٢٨٣.

فإن قيل : قد روي عن كعب الأحبار من وجه حسن قال : أول من تكلم بالعربية جبريل عليه السلام ، وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام ، وألقاها نوح على لسان ابنه سام . ورواه ثور بن زيد عن خالد بن معدان عن كعب، وروى عن النبي ﷺ أنه قال «أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين وقد روى أيضاً : أن أول من تكلم بالعربية يَعْرُب بن قحطان ، وقد روى غير ذلك.

قلنا : الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام ، والقرآن يشهد له ، قال الله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ واللغات كلها أسماء ، فهي داخلة تحته ، وبهذا جاءت السنة ، قال ﷺ «وعلم آدم الأسماء كلها حتى القصعة والقُصيعة» وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام وإسماعيل عليه السلام ، وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولاً على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية ، بدليل ما ذكرنا ، والله أعلم ، وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علَّمها الله آدم أو جبريل على ما تقدم . والله أعلم .

وإذا كان القرطبي يرجح أن أول من تكلم بالعربية هو آدم ، فقد ذكر أنه قال الشعر العربي الموزون ، فنقل عن الثعلبي أنه قال عندما تغيرت الأحوال بسبب قتل قابيل لهابيل :

تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مُغْبَرٌّ قبيح

تغير كل ذي طعم ولـون وقَلَّ بشاشة الوجه المليح

ثم قال : قال القشيري وغيره قال ابن عباس : ما قال آدم الشعر ، وإن محمداً والأنبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء ، لكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني، فهي مرثية بلسان السريانية أوصى بها إلى ابنه شيث وقال : إنك وصيي فاحفظ منى هذا الكلام ليتوارث ، فحفظت منه إلى زمان يعرب بن قحطان ، فترجم عنه يعرب وجعله شعراً . اهـ .

وفي التعليق على تفسير القرطبي ، قال الآلوسي : ذكر بعض علماء العربية أن في ذلك الشعر لحناً ، أو إقواء ، أو ارتكاب ضرورة . والأولى عدم نسبته إلى يعرب أيضاً لما فيه من الركاكة الظاهرة ، وقال أبو حيان في (البحر) : ويروى بنصب (بشاشة) من غير تنوين على التمييز ، ورفع (الوجه المليح) وليس بلحن .

هذا ما قال العلماء ، وليس فيه نص صحيح ، إنما هو نقل غير مسند ، واجتهاد واستنباط ، وذلك لايوصل إلى حقيقة ، وجهلنا بأول من نطق العربية لايضر العقيدة وعلمنا به لايحل مشكلاتنا ، فالأولى عدم الجدال فيه .

س : ما رأي الدين في الحملات التي قام بها بعض من يدعون التجديد والتيسير لتشجيع اللغة العامية ، وعدم الالتزام بالقواعد النحوية ، والإقبال على تعلم اللغات الأجنبية ؟

ج : يقول مؤلفو كتاب (الوسيط في الأدب العربي وتاريخه) طبعة سنة ١٩٢٨م: إن اللغة العربية من أغنى اللغات كلماً وأعرقها قدماً ، وأخلدها أثراً ، وأعذبها منطقاً ، وأسلسها أسلوباً ، و أغزرها مادة . ولها من عوامل النمو ودواعي البقاء والرقي ما قلَّما يتهيأ لغيرها ، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة ، وغلبة اطراد التصريف والاشتقاق ، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات ، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب ، ولما تشرفت به من ورود القرآن الكريم والسنة النبوية بلسانها . ولقريش عظيم الأثر فيما نجم عن اجتماع العرب في مشاعر الحج والأسواق بتهذيب لغتهم أنفسهم ، لأخذهم من لغات القبائل الوافدة عليهم ما خف على اللسان وحسن في السمع ، حتى تهيأت لنزول القرآن الكريم بها .

واللغة العربية حية وستظل حية لاتموت ، لأنها لغة القرآن الكريم ولغة العبادة لله. يجد المؤمن أنها ضرورية لفهم كلام الله وكلام رسوله ، ولأداء العبادة التي لاتغني عنها ترجمة مهما كانت الدقة فيها ، ولأنها مناط الشرف عند الإبداع في الخطابة أو الشعر .

وقد شهد بعظمتها كثير من المنصفين الأجانب مثل (إرنست رينان) في كتابه (تاريخ اللغات السامية) حيث يقول : من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى ، عند أمة من الرُّحَّل تلك اللغة التي فاقت أخوتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها ، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم ، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر ، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لاطفولة ولاشيخوخة [1].

وإلى جانب فضل اللغة العربية في فهم القرآن والسنة وإتقان العبادة ، لها فضل كبير في توحيد الأمة الإسلامية ، التي دخل فيها الفارسي والحبشي والرومي ، ونسوا لغتهم الأصلية ، وروى الحافظ ابن عساكر أن رجلاً عاب على غير العرب مناصرة محمد العربي ، يريد أن يصرفهم عنه لاختلاف أجناسهم ولغاتهم ، فغضب النبي ﷺ وخطب في المسجد «يا أيها الناس إن الرب واحد ، والأب واحد ، وإن الدين واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هي اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» .

هناك حملات مسعورة قديماً وحديثاً لصرف الناس عن الإسلام بشبهات واهية من جهة العقيدة أو الشريعة أو شخص الرسول أو غير ذلك . ومن هذه الحملات تشجيع اللغات المحلية لكل جماعة بحجة سهولة التعامل بها ، وصعوبة فهم القرآن وصعوبة تلاوته وقراءته ، وللمحافظة على التاريخ والتراث لكل بلد أو جماعة ، والهدف الحقيقي من وراء كل ذلك هو هجر اللغة العربية وبالتالي الجهل بتعاليم الدين ، ثم ضعف الشعور الجماعي ووحدة المسلمين ، ثم تفرقهم وتباعدهم ، ثم ضعفهم التام ، وسهولة السيطرة عليهم .

ونسى هؤلاء المغرضون ومن ينخدعون بهم أن الحكماء يسعون الآن لجمع الناس على لغة واحدة لتيسير التفاهم وتبادل المنافع (الإسبرانتو) التي اقترحها

---

١ - مجلة الأزهر مجلد ٣ ص ٢٤٠.

الطبيب البولوني (لودفيج زامنهوف) والإسلام جاء بلغة واحدة لكل المسلمين ، ولو كانت للمسلمين قوة في تاريخهم الطويل لسادت اللغة العربية في كل مكان يوجد فيه إسلام، لأنها أحسن اللغات ، والبقاء دائماً للأصلح ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

إن اللغة العربية بمقوماتها وبقبولها للتطعيم بألفاظ من اللغات الأخرى يمكن أن تساير كل عصر وتتمشى مع كل حضارة ، فهي البحر الذي يكمن في أحشائه الدر كما يقول شاعر النيل .

لقد تصدى لهذه الدعوة للعامية والمحليات بعض الغيورين على الدين وعلى العروبة . وبينوا ما في كتب المحدثين من سموم حين يعالجون مستقبل الثقافة ، ويضعون مناهج للتعليم والتأليف الذي لايلتزم قواعد اللغة العربية ، ووجدت برامج تدرس في بعض الكليات والمعاهد بعناوين مثل : دراسات لغوية حديثة ، والتطور اللغوي العربي في العصر الحديث ، واللهجات العربية الحديثة ، والأدب الشعبي ، والمذاهب الكبرى في الآداب الأوروبية ، ومدارس القصة ، وتطور الفكر الإسلامي في العصر الحديث .

وناقش الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي الحديث بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٥٨م على صفحات مجلة الأزهر هذه الأفكار بموضوعية ودقة، وبيَّن ما فيها من أثر على اللغة العربية والعروبة والدين ، وذكر حملة صاحب (مستقبل الثقافة في مصر) على الأزهر وعلماء الدين ، لاهتمامهم البالغ باللغة العربية ودعوته إلى حرية تعلمها وتعليمها والتصرف فيها دون رقابة أو تحكم[1].

وذم الدكتور دعوة أحد المناهضين للعربية في المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق -إلى تأليف معاجم محلية لايثبت فيها إلا ما بقى من اللهجات العربية حيًّا في عامية كل إقليم ، ودعا آخر إلى إعادة النظر في تبويب النحو وتدوينه من جديد .

---

١ - مجلة الأزهر، المجلد ٣٠ ص٣٢٦.

وذكر الدكتور من تزعَّم الدعوة من رجال التعليم إلى تأليف كتب القراءة الجديدة (شرشر - جلاجلا ..) وما جاء فيها من ألفاظ سوقية عامية [1] وأن نتيجة ذلك عدم استقامة اللسان باللغة العربية أو صعوبة التزام القواعد النحوية وشيوع الكلمات السوقية ، وتعدى ذلك إلى عدم الالتزام بالأوزان الشعرية ذات الوقع الموسيقى المؤثر على العواطف والأذواق .

إن مما يؤسف له أن بعض من يسمون أنفسهم عصريين متمدينين يحاولون أن يظهروا عصريتهم بتطعيم كلامهم بكلمات أجنبية ، كدليل على معايشتهم للعصر وتفاعلهم مع الظروف وانفتاحهم على العالم كله (مرسي ، برافو ، شور ، داكور ، اكسيلانس ، مستر ...) أو يكتبون عناوين محلاتهم بلغة أجنبية مثل : سوبرماركت ، رستوران ... وكل ذلك غزو للغة العربية من أبنائها الذين كان المفروض فيهم أن يتعصبوا للغتهم الشرقية الدينية .

إن من سياسة الاستعمار فرض نظامه وثقافته ولغته على المستعمرات ، ونتيجة لذلك رأينا بعض البلاد الإسلامية التي كانت تروج فيها اللغة العربية أصبحت اللغة الأجنبية هي الرسمية أو الشائعة في التخاطب والمراسلات والتأليف ، وما زال لها أثر واضح حتى بعد زوال الاستعمار شكلاً وحكماً ، وفي ذلك تذويب للشخصية العربية والإسلامية . ويجرنا ذلك إلى الحديث عن تعريب العلوم أو دراستها باللغة العربية كالطب والهندسة ، وهناك نداءات تميل إلى ذلك ، حفاظاً على اللغة ، وقامت بعض الدول العربية بالاستجابة لهذا النداء ، وإن كانت فيه صعوبة في الدراسة والترجمة .

ولامانع في هذا المجال من استعمال الأسلوب الأجنبي مع الأسلوب العربي ، وليست هذه دعوة إلى هجر اللغات الأجنبية ، فإن تعلمها لازم وبخاصة في هذه الأيام التي تشابكت فيها المصالح وسهلت المواصلات . وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر

---

١ - مجلة الأزهر ، المجلد ٣٠ ، ص ٣٥٩.

زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ليعرف ما في كتبهم التي يرسلونها إليه ، فتعلم اللغات مشروع ، ولكن مع المحافظة على اللغة العربية لغة القرآن والدين ومن المؤكد أن حفظ القرآن الكريم -في الصغر بالذات- أكبر مساعد على رسوخ اللغة العربية وتعودها واستقامة اللسان بها .

هذا ، وتعلم اللغة العربية واجب على كل مسلم بالإجماع ، كما قرره الإمام الشافعي في رسالته ، وهو الذي جرى عليه العمل ، حتى كثر الأعاجم وقل العلم وغلب الجهل ، فصاروا يكتفون من لغة الدين بما فرضه الله في العبادة والذكر .

أما حكم تعلم اللغات الأجنبية فهو الجواز ، وقد يصل إلى حد الوجوب عند الحاجة إليه ، وهو داخل في عموم الأمر بطلب العلم ومدح العلماء ، والنصوص الكثيرة الواردة لم تحدد نوعاً معيناً من العلم ، بل وسَّعت ميدانه ومما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة فاطر : ٢٨ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ بعد ذكر نزول الماء من السماء ونمو النباتات واختلاف طبقات الأرض ومكونات الجبال واختلاف المخلوقات الحية من الإنسان والحيوان ، مما يدعو إلى الإيمان بالله وحسن استخدام كنوز الأرض شكراً لله وتحقيقاً للخلافة ، حتى العلم الذي يظن أنه شر لابأس بتعلمه لاتقاء شره كما قيل :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لايعرف الشر من الناس يقع فيه

وتعلم اللغات الأجنبية فيه خير لاشك في ذلك ، فمن تعلم لغة قوم أمن من مكرهم ، حيث نتمكن من الاطلاع على ما كتبوا لنفيد من خيره ونتقي شره ونرد عليه واليهود كانوا يسبون الرسول ﷺ بعبارة يدل ظاهرها على أنها خير مثل (راعنا) فهي في لغتهم تعني الرعونة ، وكانوا ينادون بها الرسول ، والمسلمون يقلدونهم فيها دون علم بما يقصدون منها ، ظانين أنها -كما في لغة العرب- تدل على الرعاية . قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ﴾[سورة البقرة : ١٠٤] .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يترجم بين يدي الرسول عند قدوم الوفود بلهجاتهم المختلفة [1] ويقال : إن الذين حملوا كتب النبي ﷺ بدعوة الملوك كانوا يعرفون لغاتهم .

وأمر الرسول ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم لغة يهود ، لأن كتباً تأتي منهم تحتاج إلى من يترجمها له ، روى البخاري تعليقاً والبغوي وأبو يعلى موصولاً عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : أتى بي إلى النبي ﷺ مقدمه فقيل : هذا غلام من بني النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة . فقرأت عليه فأعجبه ذلك فقال (تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمنهم على كتابي) فتعلمت ، فما مضى لي نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إليهم ، وإذا كتبوا إليه قرأت له [2] .

فتعلم اللغات الأجنبية مشروع ، ويجب أن يكون في الوطن من يتقنونها كلها ، حتى لايعيش المجتمع في عزلة عن العالم .

س : أنا أميل كثيراً إلى إجادة لغة أجنبية ، وأصبحت متخصصاً في آدابها ، ولكن بعض إخواني يعيبون عليَّ ذلك ويقولون : الأولى أن تهتم باللغة العربية ، لأنها لغة القرآن الكريم ، فهل دراستي للغة الأجنبية عبث أعاقب عليه ؟

ج : إن الواجب على كل مسلم أن يتعلم من اللغة العربية ما يؤدي به عبادته على وجهها الصحيح ، كقراءة الفاتحة في الصلاة مثلاً ، ما دام ذلك ممكناً ، كما ينبغي أن يعرف منها أكثر ليستطيع فهم الدين بسهولة عند قراءته في المصحف واطلاعه على الأحاديث النبوية وغيرها من الكتب المؤلفة باللغة العربية .

---

١ - البخاري ج١ ص٣٢.
٢ - الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني ج٣ ص٣٢٣.

ومع هذا لابد أن يكون في المسلمين من يعرف اللغات الأجنبية لحاجة الدعوة إليها بوجه خاص ، وإلى إمكان التعايش مع العالم الذي لاغنى عن التعايش معه . ولايوجد نص يمنع ذلك ، بل يوجد ما يدعو إليه ويؤكده . قال البخاري عن زيد ابن ثابت أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود حتى كتبت للنبي ﷺ كتبه ، وأقرأته كتبهم إذا كتبوا إليه . وقال أبو جمرة : كنت أترجم بين ابن عباس والناس ، وقال بعض الناس : لابد للحاكم من مترجمين .

لقد أعجب النبي ﷺ بزيد حين قدم المدينة لأنه يحفظ كثيراً من القرآن وقال له «تعلم كتاب يهود ، فإني ما آمن من يهود على كتابي» فتعلم ذلك في نصف شهر حتى كتب له إلى اليهود وقرأ له إذا كتبوا إليه . وروى أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح أن مدة التعلم كانت خمس عشرة ليلة ، كما جاء في بعض الروايات أنها كانت سبعة عشر يوماً ، وذلك لايهمنا ، والمهم أن زيداً تعلم العبرية أو السريانية بأمر من الرسول ﷺ للحاجة إلى ذلك ، وقد تحدث العلماء عن إجادة اللغة وصحة الترجمة ليكون موثوقاً بها كالشهادة في الأحكام والقضايا ، وهذا يؤكد أن إجادة اللغات ومعرفة أسرارها أمر مشروع ، والمشتغل به مشتغل بعلم له قدره وثوابه ما دام القصد طيباً ، والاستعمال مشروعاً ، ويعجبني في هذا المقام ما نسب إلى الشافعي أو إلى الصفدي من قوله :

بقدر لغات المرء يكثـر نفعـه ... وهن له عند الشدائد أعـوان

فبادر إلى حفظ اللغات مسارعاً ... فكل لسان في الحقيقة إنسان

س : هل لقمان نبي أم ولي ، وفي أي عصر كان يعيش ؟

ج : يقول الله سبحانه ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان : ١٢] أنزل الله في القرآن سورة سميت باسم لقمان ، ونصت الآية على أن الله سبحانه آتاه الحكمة ، كما ذكرت السورة وصيته لابنه ، وذلك لأهميتها .

والخلاف في نسبه ونشأته كبير ، وليس لأي قول في ذلك دليل قوي ، فمثلاً قال محمد بن إسحاق : هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارح ، وهو آزر أبو إبراهيم ، وقال السهيلي : هو لقمان بن عنقاء بن سرون وكان نوبيًّا من أهل أيلة ، وقال الزمخشري : هو لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب أو ابن خالته ، عاش ألف سنة وأدركه وأخذ عنه العلم ، وقال الواقدي : كان قاضياً في بني إسرائيل ، وقال سعيد ابن المسيب : كان لقمان أسود من سودان مصر .

واختلف في صنعته ، فقيل كان خياطاً ، وقيل حطاباً ، وقيل : كان راعياً ، وقيل: كان نجاراً كما اختلف في شكله فقيل : كان أسود مشقق الرجلين ذا مشافر ، أي عظيم الشفتين وكل ذلك كلام لادليل عليه يطمئن إليه القلب ، لكن المهم أن نعرف هل كان نبيًّا أو وليًّا أي رجلاً صالحاً ؟

المتفق عليه أن الله آتاه الحكمة وسجل وصيته في القرآن إشادة بها وتقريراً لها ، وجمهور العلماء على أنه كان وليًّا ولم يكن نبيًّا ، وقال بنبوته عكرمة والشعبي لأنها هي الحكمة التي آتاها الله إياه ، ولكن الصواب كما ذكره القرطبي في تفسيره للسورة [1] أنه رجل حكيم بحكمة الله تعالى . ومهما يكن من شيء فلا يضرنا الجهل بذلك ، والمهم هو الاقتداء بسيرته والأخذ بحكمته .

---

١ - التفسير ج١٤ ص٥٩ .